شيخو عثمان أحمد

قسم اللغة العربية، جامعة بايرو كنو، نيجيريا

اللغة العربية ولغة هوسا في الحقل البلاغي

دراسة مقارنة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن اللغة هي الوسيلة التي يستطيع الإنسان بواسطتها أن ينقل أفكاره، ويعبر عن عواطفه، ويترجم عن شعوره، ويواصل المعاني إلى الآخرين، وقد تعددت اللغات الإنسانية، وتفرعت بناءا على تعدد الأجناس والبيئات، فتباينت من أجل ذلك أصواتها، وكثرت طرق التعبير بها، وتداخلت فيما بينها، كما وجدت وشائج القربى وصلات الرحم فيما بينها، وبالتالي وضع لدارستها أسس ومناهج تتطور بتطور البشرية.

تعتبر لغة هوسا إحدى اللغات الشائعة في غرب إفريقيا حيث يتحدث بها أكثر من ثمانين مليون. وقد ثبت علميا أن هناك وشائج القربى بين لغة هوسا واللغة العربية في الأصوات والمفردات والتراكيب وفي الظواهر البلاغية. يقول أبو منقة "تعتبر لغة الهوسا أكثر اللغات الإفريقية -باستثناء السواحلية – تأثرا باللغة العربية بالإضافة إلى الكم الهائل من الألفاظ العربية التي يعج بها القاموس الهوسوي، فإن الأدب الهوسوي المكتوب – نثرا كان أو نظما – قد تأثر بالأدب العربي الإسلامي"(كتاب تعريفي عن تاريخ لغة الهوسا) فلا غرابة في هذا، إذ أثبت البحث العلمي أن في كل خمس كلمات هوساوية أو في كل تركيب يحتوي على خمس كلمات إحداها عربية.(الثقافة العربية)

تسرب اللغة العربية إلى ديار نيجيريا:

إن غرب إفريقيا مرتبط بشمالها منذ عهد قديم ثقافيا واقتصاديا ودينيا، إذ لا يفصل هذا عن ذاك حاجز طبيعي إلا الصحراء،وليست هذه الصحراء خالية من القوافل المجتازين من الغرب إلى الشمال أو العكس ذهابا وإيابا.

توجد مجموعة من الظواهر اللغوية التي تؤكد وجود صلة بين اللغتين، ومما يتعلق بنظام التأنيث والتذكير في اللغتين، ففي لغة هوسا يقال أن معظم الأسماء المؤنثة التي تنتهي بالفتحة الممدودة، مثل كلمة Sandaa -بمعنى عصا- وKujeraa – بمعنى مقعد-، وMalafaa - بمعنى نوع من القلنسوة.

فإن هذه الفتحة جزء من علامة التأنيث المشتركة في اللغتين، إذ أن الألف المقصورة من علامة التأنيث في العربية مثل" حبلى" و "كبرى" و"صغرى".

ولم يقتصر التشابه بين اللغتين في نظام التأنيث، فهناك صلة قوية بينهما في نظام تركيب الضمائر. فضمير المتكلم في الهوسا مثلا هو: (نِي) بمعنى (أنا) وهو قريب من (إنني) بعد إسقاط أداة التوكيد، كما أن ضمير المخاطب هو (كَيْ) بمعنى (أنت) وهو قريب أيضا من (إنك) بعد إسقاط أداة التوكيد.

فهذه الورقة تهدف إلى إبراز علاقة المشابهة بين الغة العربية ولغة هوسا، في أساليب البيان من التشبيه والمجاز والكناية.

أ ولا: التشبيه:-

التشبيه عملية فنية جمالية يهدف إلى توضيح فكرة أو تقريب معنى أو تمثيل شيء بشيء، فيزيد المعنى وضوحا أو يكسبه تأكيدا، ولعل هذا هو السبب الذي أهلَّه بأن لا تستغني لغة عنه في تعابيرها عربا وعجما.

فالتشبيه كما عرفه عبد القاهر الجرجاني "هو أن يثبت لهذا معنى من معاني ذاك أو حكما من أحكامه" (أسرار البلاغة) وهذا التعريف قريب من تعريف الأستاذ الدكتور سعيد غُوسَوْ إذ يقول:-

Kamantawa ko Kamanci ko Tanka, Salon Adanta Waka ne da ake amfani dashi ta hanyar kwatanta wani abu da wani abu.(Nazari akan Harshe)

المعنى:- التشبيه عملية فنية يستخدم لتشبيه شيء بشيء. وعرفه أيضا الدكتور بللو سعيد بقوله:-

"Kamantawa shine gwada wani abu da wani dangane da kyau ko daraja, ko karfi"(Nazari akan Harshe)

المعنى:- التشبيه عبارة عن أسلوب يقارن به بين شيء وشيء آخر في صفة بينهما في جمال أو قيمة أو قوة شيء.

لا شك أن عملية التشبيه لا تتم إلا بأداة التشبيه ملفوظة أو ملحوظة- وهو أمر مشترك بين اللغتين، بل إن أدوات التشبيه في لغة الهوسا تدل على معان قريبة من معان أدوات التشبيه في اللغة العربية، ومن هذه الأدوات في لغة الهوسا:

Daidai da =مثل/ شبه

Kamar :مثل

مثل: Tamkar

الكاف: Awa

كأن: Sai kace

كأن: Ce kake/ Kai Kace

الأمثلة:

قال الشاعر: (Akilu Aliyu)

Ba mai mota ko babur ba

Ba mai gemu ko saje ba

Bamai faffadar riga ba

Ba mai gogaggen wando ba

Mai Magana kaji Tamkar Kyaure

المعنى: صفات الزوج عند الشاعر أن يكون رجلا صالحا، ليس بصاحب سيارة، أو دراجة، أو ذي لحية طويلة أو شارب ولا صاحب ملابس غليظة ولا صاحب سروال ملون، بل يحتاج إلى خاطب يثبت مع قوله كثبوت باب ملصوق بجدار.

ربط الشاعر بين المشبه حال خاطب المرأة وبين المشبه به – Kyaure– الباب بأداة التشبيه Tamkar.

ففي حالة حذف الأداة ووجه الشبه تناول المغنِّي الهوسوي الشهير (شَاتَا) في قوله:-

Yawan duniya mafarkine Alhaji Shata

المعنى: إن السياحة في أنحاء العالم أحلام.

يصف الشاعر سياحته التي زار فيها أمريكا المتحدة، فالسياحة في نظره نوع من أنواع الحلم يتمتع الإنسان بما يراه في النوم، فذلك يتمتع بما شاهده في سياحته فلا يستمر هذا التمتع بعد اليقظة بحالة من يرى أمرا في سياحته. فحذف أداة التشبيه ووجه الشبه ادعاءً أنهما شيء واحد.

يقول الشاعر: (Sani Sabulu)

Daga nesa tana da kamar mota amma aniyarta ta banzaba ce

يصف الشاعر السيارة (fijo) نوع من السيارة فيقول إنها ليست بسيارة حقا إذ السيارة تنجي وتنقذ، وهذه تهلك وتدمر يوميا، فليست سيارة وإن تراءت في الظاهر إنها مركب مريح.

استعمل الشاعر في هذا البيت أداة kamar للربط بين المشبه fijo وحذف المشبه به.

يقول المثل الهوسوي:

Mugunta fitsari fako.

المعنى: التبول بمكان صلب شر، يلوث صاحبه، شبه الإيذاء Mugunta بالتبول في مكان الصلب ثم حذف الأداة ووجه الشبه على سبيل التشبيه البليغ

ثانيا: المجاز:-

وإذا أردنا إبراز المشابهة والصلة القربى بين اللغتين في ظاهرة المجاز – سواء العقلي أو اللغوي – تترآى في وجه التشابه بينهما إذا كان المجاز العقلي يركز على إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير صاحب هذا الفعل لعلاقة بين الفعل وصاحبه مع وجود قرينة تمنع أن يكون الإسناد حقيقيا، فإن هذا لم يكن بعيدا عن الشعراء الهوساويين، يقال في الهوسا على سبيل المثال:-

Sauri yahaifi nawa

المعنى: أنجبت السرعة التأخر.إذا حاول أحد أن يستعجل في أمر، فصدر منه ما يؤخره.

أسند فعل ya haifi– أنجب- إلى غير فاعله الحقيقي Sauri، وذلك لوجود القرينة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي لفعل ya haifi، لأن Sauri من المعاني المعنوية التي يستحيل أن يقوم بما أسند إليه عقلا، لكنه لما كان هو السبب لوقوع الفعل أسند إليه الأمر مجازيا.

المعنى: أخذ الله روحه:- Allah ya dauki Ransa

أسند فعل ya dauki– أخذ – من الأفعال تصدر من الحواس - إلى الله تعالى، وهذا مستحيل له، ولكن ملائكته عليهم السلام هم الذين يقومون بقبض الأرواح، ولما كان القبض بأمر الله وإرادته أسند إليه الفعل للعلاقة السببية.

Baki shi yake yanka wuya.

المعنى: يذبح الفم العنق

Kowa yaci zomo yaci gudu

المعنى: كل من أكل الأرنب أكل الجري

أسند الأفعال في هذه الأمثلة إلى غير فاعلها الحقيقي، فأسند فعل يذبح yanka إلى الفم Baki والفم من المعاني المعنوية يستحيل أن يقوم بالفعل، وعلى هذا فإن صاحب الفم هو الفاعل الحقيقي فأطلق الجزء وأريد الكل.

كما أسندت فعل "أكل" – ci التي وردت مرتين الأولى إلى فاعلها الحقيقي –kowa – وذلك لوجود القرينة تدل على إرادة المعنى الحقيقي – zomo - بينما كانت الثانية جاءت مجازا القرينة الجري –Gudu- فالمقصود صاحب الجري، فأطلق الحال وأريد المحل.

ثالثا: الكناية:–

كما عرفها الأستاذ الدكتور سعيد غُوسَوْ فهي:

"Kinaya dabarace ta sakaya zance da ake san isarwa ta juyar da shi daga maanarsa ta asali (farko) zuwe ga wata ma'anar ta biyu" (Nazari akan Harshe).

المعنى: الكناية عملية لإخفاء معنى لكلام يراد إيصاله فيكنى به عن المعنى. وهذا يشبه تعريف عبد القاهر الجرجاني للكناية ".... والمراد بالكناية هاهنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه إلى الوجود، فيوميء به إليه، ويجعله دليلا عليه"(أسرار البلاغة).

ويوجد مثل هذا الأسلوب الكنائي في التعابير الهوساوية، ومن ذلك قولهم:

Yazo hannunsa na dukan cinya:-

المعنى:– جاء ويده تضرب فخذه، ويراد به الندامة والتحسر.

Tsuntsun da yaja ruwa shi ruwa kan kan doka.

المعنى:- الطير الذي جلب مطرا، يبَلِّلُه المطر لا الغير، أي أن من سبب شرا فإن الشر يقع عليه لا محالة.

ففي المثال الأول عبر بضرب الفخذ عن الشعور بالتحسر والندم على ما فات. وهذه كناية تَحْكِي لنا تقاليد ترجع إلى الهوساويين وخاصة النساء منهم. فصرح بالنسبة في المثال الثاني: Jawowar ruwa فالطير Tsuntsu المكنى به عن وقوع البلاء على من كان سببا له ولوحظ أن المعنى في الكناية هو ما يكنى به أو عنه دون اللفظ نفسه فقط.

Ya sha miya

المعنى: تناول فلان مرقا أو إداما. أي أنه عاش طويلا في هذه الدنيا.

Alkalami ya bushe

المعنى: جف القلم. أي فات الأوان لإدراك شيء مأمول فيه.

عبر في المثال الأول كبر السن بـ ya sha miya لأن من عمر طويلا فلا بد أنه شرب الماء الكثير، إذ لا يستغني عنه يوميا، فهي كناية عن الموصوف، حيث أخفى المعنى الكنائي وراء اللفظ المكنى به، فصرح بالموصوف ضمير المستتر في كلمة —yaوبالصفة في كلمة -sha- .

أما المثال الثاني فهي كناية عن فوات الأوان لإدراك شيء مأمول فيه، فأخفى المعنى وراء اللفظ المكنى به أو عنه دون اللفظ فقط.

رابعا: الخاتمة:-

ومما تقدم في الصفحات السابقة تظهر وشائج القربى بين اللغة العربية ولغة الهوسا في مجالات مختلفة لغوية ونحوية وبيانية من تشبيه ومجاز وكناية بصورة موجزة، بأن اكتفى الباحث بمثال أو مثالين في كل ظاهرة من الظواهر، إذ لا يمكن أن يحيط بها الباحث في هذه العجالة مما يعج به القاموس الهوسوي. وأود أن أقدم المقترحات التالية:-

1- أُوصي المثقفين النيجريين، وخاصة المتحدثين بلغة الضاد على أن يقوموا بدراسة معمقة عن الحركة الثقافية والنشاطات العلمية بين اللغتين.
2- اختراع رؤيا استراتيجية قريبة المدى أو بعيدة المدى، ووضع خطة مستقبلية لتطوير العلاقة بين اللغتين.
3- ويجب على الدول العربية أن تقدم تبرعات وأدوات دراسية ملائمة للناطقين بغير العربية.

الهوامش المراجع:

1- الأمين أبومنقه (الدكتور) كتاب عن تاريخ لغة الهوسا. ط1 1419هـ 1998م. منظومة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

2- بكري شيخ أمين (الدكتور): البلاغة العربية في ثوبها الجديد -علم البيان- ط1؛ دار العلم للملايين بيروت.

3- خالد حسن عبد الله: الأمثال والحكم ودلالاتها الاجتماعية في لغة الهوسا. ط2؛ 1427هـ 2009م.

4- عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة. ط1؛ 1991م 1412هـ مطبعة المدني /دار المدني بالقاهرة ودار المدني بجدة.

5- علي أبوبكر (الدكتور) الثقافة العربية في نيجيريا من 1750- 1960م ط 1؛ 1972م بيروت.

6- غلادنثي، شيحو أحمد سعيد. (الدكتور): حركة اللغة العربية وآدبها في نيجيريا،ط2، 1992م شركة العبيكان للطباعة والنشر.

7- الطاهر محمد داود (الدكتور): تحليل أوجه الشبه بين اللغة العربية ولغة الهوسا.ط1؛ 1422هـ 2001م.

8- مصطفى حجازي السيد (أ.د) أدب الهوسا الإسلامي 1421هـ 2000م.

9- Abba Rufa'i

Ibrahim yaro Yahaya : *Nazari akan Harshe da*

Abdu Yahaya Bichi *Al'adu na Hausa*

10- Aliyu Namangi: *Wakokin Imfiraji* (1-4) Norhtern Nigeria publishing company Ltd.2010.

11- Aliyu Idris Funtua: *Wakokin Baka Sa'idu Muhd Gusau na Hausa*. Gaskiya corporation Ltd Zaria Nig.Bugawar Farko 1993

12- Lawan Dan ladi Yalwa

Abdu Yahaya Bichi: *Studies in Hausa*

Abdullahi Umar Kafin Hausa *Language Literature and culture*.

The fifth Hausa International conference 2002 Benchmark publishers l t d.